ألف حكاية وحكاية ٨٤

يعقوب الشارونى

هرقل بطل القوة والحكمة

وحكايات أخرى



رسوم
عادل البطراوى

مكتبة مصر

ألف حكاية وحكاية (٨٤)

هرقل بطل القوة والحكمة

وحكايات أخرى

تأليف
يعقوب الشارونى



رسوم
عادل البطراوى

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
الفجالة - القاهرة

بدلاً من البهجة بلحن جميل

عندَ طرفِ القريةِ الصغيرةِ ، أطلَّتِ الحمامةُ من فتحةِ البرجِ الذى تعيشُ فيه ، وتأمَّلَتْ فى دهشةٍ غطاءَ الفراشِ الزاهى المنشورَ على سورِ السطحِ الأسمرِ بلونِ الطينِ ، فوقَ البيتِ المنخفضِ. ثم التفتتْ إلى رفيقِها وقالَتْ:



"هل ترى هذه الألوانَ الساطعة ، التى لم نكنْ نراها إلا فى السماءِ مع الغروبِ ، عندما ينعكسُ اللونانِ الأحمرُ والبرتقالىُّ على السحابِ الأبيضِ؟"

قالَ الرفيقُ لرفيقتِهِ: "قلْتُ لكِ إنهم يتغيَّرونَ .. الجلاليبُ الزرقاءُ أصبحَتْ قمصانًا صفراءَ أو أثوابًا حمراءَ ، فلماذا لا تتغيَّرُ أيضًا ألوانُ أغطيةِ فراشِهم؟"

وبغيرِ اتفاقٍ ، طارَتِ الحمامتانِ ، ووقفتا فوقَ الألوانِ التى ظلَّتْ تزغردُ تحتَهما.. فارتفعَ هديلُهما.

وفجأةً ظهرَ أحمدُ ، ابـنُ صـاحبِ البيـتِ والـبرجِ. وتوقَّعَـتِ الحمامتانِ أن يقدمَ لهما بعضَ حباتِ الذرةِ أو القمحِ على كفِّه كما اعتادَ أن يفعلَ. لكنه ، بدلاً من ذلك ، اندفعَ مُكشِّرًا ولـوَّحَ بيدَيْـهِ مُهدِّدًا . وصاحَ: "ابتعدا عن هنا.. إياكما أن تقتربا ثانيةً من غطاءِ سريرى الجديدِ!"



وفى فزعٍ ، عادَتِ الحمامتـانِ إلى برجِـهما ، والرفيـقُ يقـولُ لرفيقته فى أسفٍ:

"إنهم حقًّا قد تغيَّروا .. فها هو صديقُنا لا يرى فى موسيقى الألـوانِ ، إلا دليلاً على امتلاكِ شىءٍ جديـدٍ ، بـدلَ أن يـرى فيـها البهجة بلحنٍ جميلٍ!!"

"نِفْسَك فِى إيه؟"

"فى شهرِ رمضانَ الكريمِ ، أريدُ أن أقدِّمَ خدمةً للآخرينَ ، لكنْ ليس معى مالٌ أقدِّمُهُ . فماذا أفعلُ ؟" هذا هو السؤالُ الذى أرسلَهُ إسلام محمد عبد الغفار ، وعمرُهُ ١٥ سنةً.



وفى الحالِ تذكَّرْتُ ما قرأتُهُ فى مجلةِ الشبابِ ، حولَ ٢٥ طالبًا وطالبةً من طلابِ الجامعةِ الأمريكيةِ بالقاهرةِ ، ذهبوا إلى معهدِ الأورامِ السرطانيةِ ، ورافقوا ١٦٠ طفلاً وطفلةً من مرضى القسمِ المجانِيِّ إلى أحدِ المطاعمِ ، حيثُ أشرَفوا عليهم خلالَ يومٍ كاملٍ قضَوْهُ هناك بدعوةٍ قدَّمَها عددٌ من رجالِ الأعمالِ ، يقدِّمونَ لهم الرعايةَ والحنانَ ويشاركونَهم الغناءَ والرقصَ ، يؤكِّدونَ بذلك اهتمامَهم بمجتمعِهم وهم يحاولون التخفيفَ من آلامِ هؤلاء الأطفالِ المرضى.

وقد شاهدَ الحفلَ الزميلُ الصحفِيُّ هشام زكى محمود ، الذى كتبَ يقولُ إن الحالةَ التى تَأثَّرَ بها معظمُ الموجودين، كانَتْ أثناءَ غناءِ أحدِ المُطربينَ لأغنيةِ "كامننا"، فقد غنَّى المُطرِبُ الجزءَ الأولَ من الأغنيةِ "نِفْسَك فى إيه"، ووجَّهَ الميكرفون إلى فتاةٍ صغيرةٍ من المرضى . وطلبَ منها أن تُكمِلَ معه الأغنيةَ.

لكنْ يبدو أن الفتاةَ لم تكنْ قد سمعَتِ الأغنيةَ من قبلُ، فاعتقدَتْ أن المُطرِبَ يسألُها عن الشيءِ الذى تتمنَّاهُ ، فقالَتْ بتلقائيةٍ وحماسٍ: "نِفْسِى يتمُّ شفائى" ، فانسابَتْ دموعُ الحاضرينَ ، داعينَ اللهَ لها ولكلِّ زملائها بالشفاءِ.



هرقل .. بطل القوة والحكمة

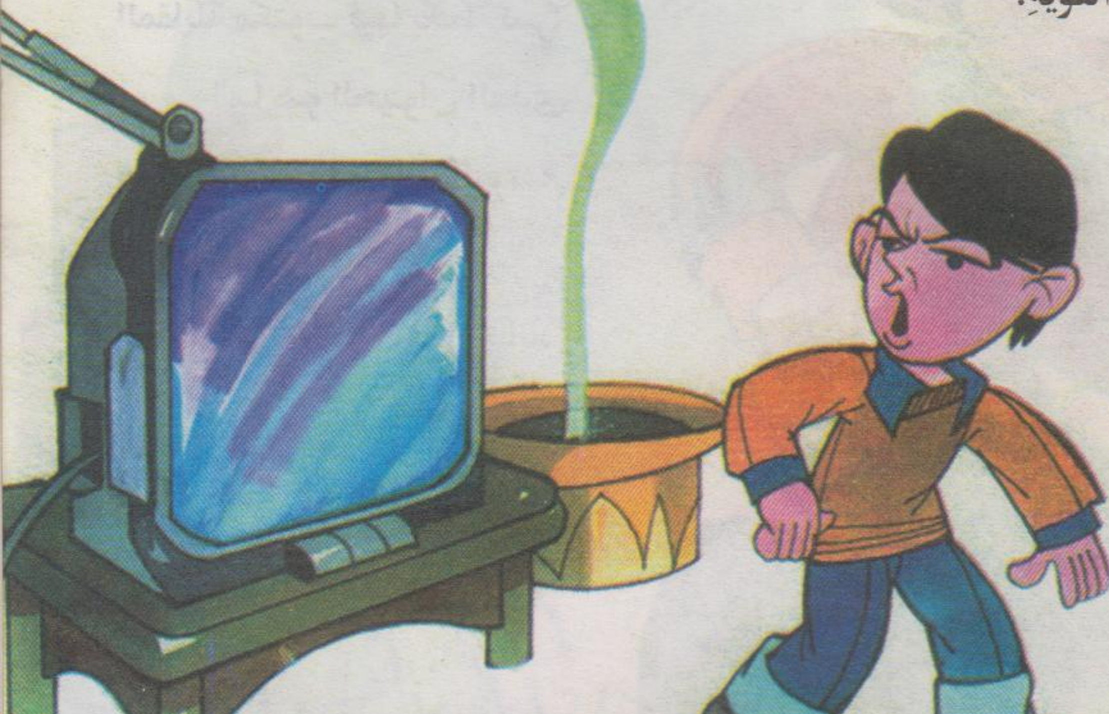
"فى كتابِ "كيس الخصام" من سلسلة كتبِ "ألف حكاية وحكاية" ، قرأتُ قصةَ هرقل ، الذى أراد أن يتحدَّى "كيس الخصام"، فداسَ عليه بقدمِهِ وضربَهُ بعصاهُ ليُبعِدَهُ عن طريقِهِ ، لكنْ كلما ضربَهُ ، كانَ الكيسُ ينتفخُ ويتضاعفُ حجمُهُ، إلى أنْ سدَّ عليه الطريقَ .. وما دُمْتُم تتحدَّثونَ فى كتبِكم عن هرقل ، فلماذا لا تُرحِّبونَ بما يعرضُهُ التليفزيون عنه؟"



سألَتْنى هذا السؤالَ "مريم مصطفى حمدى"، وعمرُها ١٤ سنةً، والتى اشتركَتْ فى "معسكر اقرأ".

قلْتُ لها: هرقل شخصيةٌ وردَتْ فى الحكاياتِ اليونانيةِ القديمةِ، لكنه كانَ يضعُ قوتَهُ العضليةَ الهائلةَ فى خدمةِ العقلِ والحكمةِ.

وعندما طلبَ منه الملكُ المُستبدُّ أن يقومَ فى ليلةٍ واحدةٍ بتنظيفِ حظائرِ الماشيةِ ، التى تَراكمَتْ فضلاتُها على مدى عشراتِ السنينَ ، وجدَ أن قوتَهُ لن تُفيدَهُ فى هذا الوقتِ القصيرِ ، عندئذٍ قامَ بتحويلِ مجرى نهرٍ صغيرٍ ناحيةَ الحظائرِ، فتدفَّقَتِ المياهُ واكتسحَتْ أمامَها كلَّ الفضلاتِ فى ليلةٍ واحدةٍ. وهو ما فعَلْناهُ نحنُ عامَ ١٩٧٣ ، عندما حطَّمْنا خط بارليف فى ساعاتٍ، باستخدامِ خراطيمِ المياهِ القويَّةِ.



ثم سألْتُ: "فهل صاحبُ هذا العقلِ الحكيمِ ، هو هرقل الذى رأيْناهُ فى التليفزيون يؤكِّدُ أن القوةَ العضليةَ فيها الحلُّ لجميعِ مشاكلِ الدنيا؟!"

ما الذى يختفى خلف الباب؟

فى برنامجِ "صباح الخيرِ يا مصر" ، سألَتْنى المُذيعةُ: "ما هو التَّحدِّى الحقيقِىُّ الذى يُواجِهُهُ الكتابُ من الكمبيوتر والإنترنيت؟"



عندئذٍ أمسكْتُ كتابًا وعرضْتُ صفحتَيْنِ منه: صفحةٌ بها بابٌ مُرتفِعٌ ، والصفحةُ المُقابِلةُ مكتوبٌ فيها بخطٍّ كبيرٍ:

"ما هو الحيوانُ الذى يحتاجُ إلى هذا البابِ المُرتفِعِ جدًّا ، ليخرجَ من حظيرتِهِ؟"

فإذا أجابَ الطفلُ قائلاً: "إنها الزرافةُ" .

نقولُ له: "افتح البابَ بنفسِكَ ، لتتأكَّدَ من صحةِ إجابتِكَ."

ويمدُّ الطفلُ أصابعَهُ ، ويمسكُ بالبابِ ، المصنوعِ طبعًا من الورقِ ، ويفتحُهُ، فيكتشفُ وراءَهُ صورةً للزرافةِ.

وقلْتُ: "إن مثلَ هذا الكتابِ ، يقومُ بأهمِّ ما يتفوَّقُ به الكمبيوتر على الكتابِ .. لقد حقَّقَ التفاعلَ والحوارَ بينَ الطفلِ ووسيلةِ المعرفةِ ، فلم يقدِّمِ المعلومةَ جاهزةً، بل ألقى سؤالاً ، وتركَ الطفلَ يبحثُ عن الإجابةِ ، وهي إجابةٌ لا تعتمدُ على الحفظِ ، بقدر ما تعتمدُ على قوةِ الملاحظةِ والاستنتاجِ.

وعندما يصلُ الطفلُ إلى إجابةٍ ، فعليه أن يقومَ بعملٍ إيجابيٍّ ، ليتأكَّدَ من صحةِ إجابتِه. والكمبيوتر لا يفعلُ أكثرَ من هذا.



وإذا فعلَتْ كلُّ الكتبِ نفسَ الشيءِ ، فإننا لن نجدَ بعد ذلك فرقًا بينَ الكتابِ والكمبيوتر ، ما دامَ كلٌّ منهما يعملُ على تنميةِ قدراتِ الطفلِ على التفكيرِ والاستنتاجِ وتعليمِ نفسِه بنفسِه."

صحيفة جدى فى شارونة

"مع انتشار الأميةِ فى القريةِ ، كيف يجدُ الأطفالُ القدوةَ فى مجالِ القراءةِ؟"

سألنَى هـذا السؤالَ محمد إسماعيل ، وعمرُهُ ١٣ سنةً ، وقد اشتركَ فى "معسكر اقرأ" ، الـذى أقامَتْهُ الإدارةُ العامـةُ للمكتباتِ بوزارةِ التربيةِ والتعليمِ.



قلْتُ لـه: لا أنسـى صديقـى الطبيبَ الذى قابلْتُهُ منذُ أيامٍ ، فقـالَ لى: هل تذكرُ جدِّى الـذى كـانَتْ دارُهُ تجاورُ دارَ جدِّكَ الشيخ عـوض فى جزيرةِ شارونة؟ كنْـتُ أرى جدَّكَ كـلَّ صبـاحٍ يقـرأ صحيفـةَ الأهـرامِ ، يشتريها له العائدونَ من السوقِ.

وأذكـرُ والـدى عندمـا كـانَ يتوقَّفُ قليلاً مع جدِّكَ ، يسألُهُ:

ما أخبارُ الدنيا يا عمِّ الشيخ عوض؟

وكنْـتُ أنبـهرُ بجـدِّكَ وهـوَ يحكـى أخبـارَ العالمِ ، فقد كـانَ مـن القلائلِ الذين يُجيدونَ القراءةَ فى قريتِنا.

إننى لا أنسى صورةَ جدِّكَ وهو جالسٌ على كرسيِّه ، فوقَ "المصطبة" أمامَ بابِ داركم ، والتفافَ الناسِ حوله يسألونَهُ عن أخبار الحربِ عندما اقتربَتِ المعاركُ من مرسى مطروح والعلمين ، وعن السمادِ الذى كُنَّا نستوردُهُ من الخارجِ. هذا الانبهارُ هو الذى ملأنى حماسًا لأن أقرأَ وأتعلَّمَ ، وأكتسبَ مكانةً اجتماعيةً مُتميِّزةً مثلَ مكانةِ جدِّكَ."

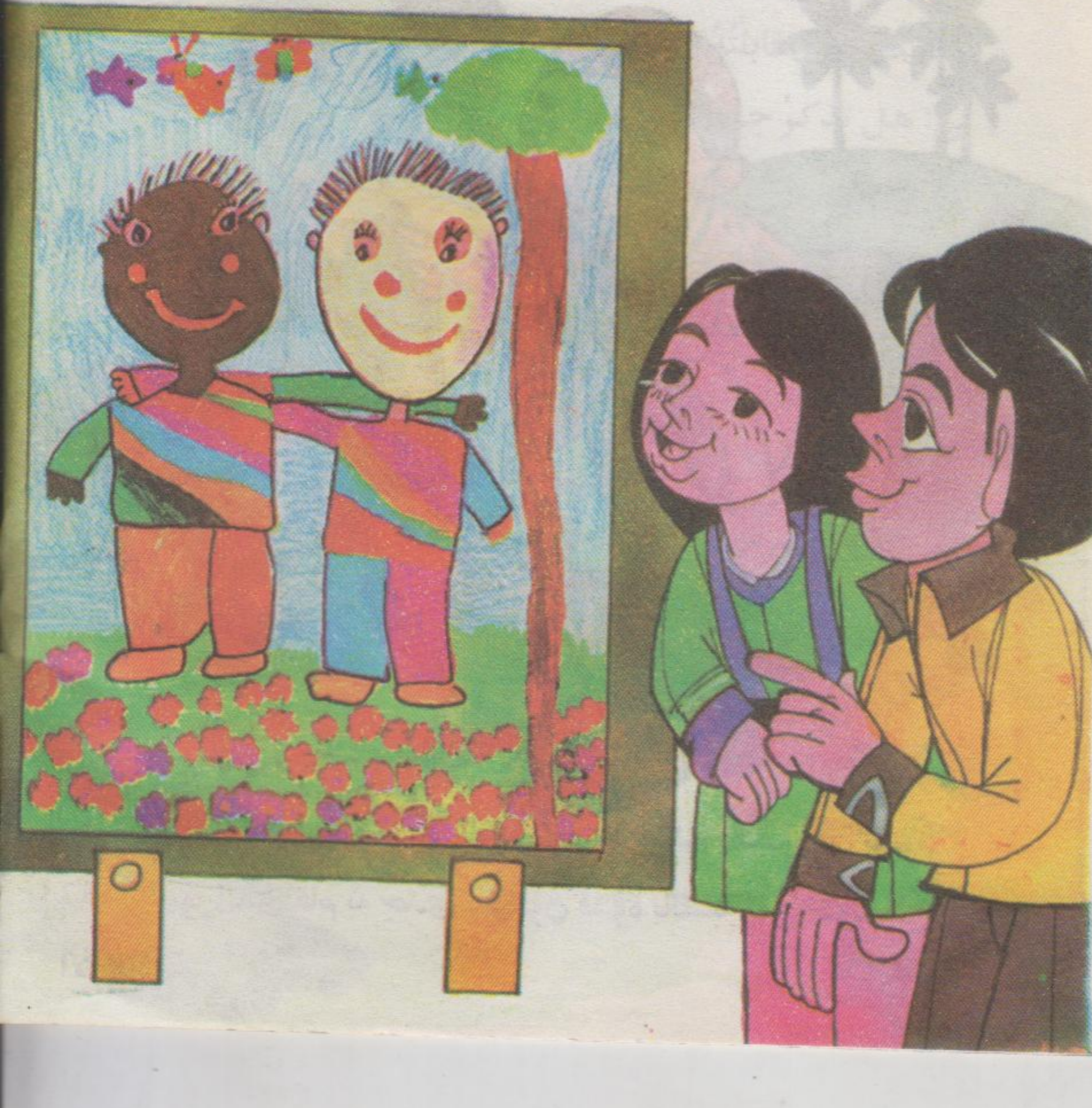


وختمْتُ حديثى قليلاً: "وكل واحدٍ منكم يُمكِنُ أن يقومَ بنفسِ الدَّوْر الذى قامَ به جدِّى ، فيكونَ قدوةً بالنسبةِ لمَنْ حولَهُ من الأطفالِ."

"مختلفين ومع بعض عايشين"

"مختلفين ومع بعض عايشين" ، هذا هو الموضوعُ الذى اشتركَ فى التعبيرِ عنه بالرسمِ آلافُ الأطفالِ ، ومنهم صاحبُ هذا الرسمِ ، "أحمد شريف الملا" ، وعمرُهُ ستُّ سنواتٍ ، من الإسكندريةِ.

لقد أقامَتْ هذه المسابقةَ الأستاذةُ فاطمة المعدول مديرُ عامّ ثقافةِ الطفلِ بالهيئةِ العامةِ لقصور الثقافةِ ، ثم طَبعَتِ الأعمالَ الفائزةَ على بطاقاتٍ ، ليتبادلَها الأطفالُ بمناسبةِ العامِ الجديدِ.



قالَ رؤوف جمال أسعد ، وعمرُهُ ١٣ سنةً، عندما شاهدَ هذه اللوحةَ: "إنهما يتعانقانِ كما تعانقَتِ الأعيادُ هذا العامَ ، فبدأ شهرُ رمضانَ الكريمُ مع أعيادِ رأسِ السنةِ وأعيادِ الميلادِ."

أما سماح فضل محمد ، وعمرُها ١٣ سنةً، فكتبَتْ: "هناكَ القصيرُ والطويلُ ، والأبيضُ والأسودُ ، والهادئُ وسريعُ الغضبِ ، لكننا لا نحسُّ أبدًا بهذه الاختلافاتِ ، ونعيشُ دائمًا مع بعضِنا في حبٍّ وتعاونٍ وتسامحٍ".

وقالَ حسين عبد الواحد ، وعمرُهُ ١٥ سنةً: "إنها الصداقةُ بين الأطفالِ، التي تنمو بغيرِ اهتمامٍ باختلافِ اللونِ أو الدينِ أو الجنسِ، أو حتى اختلافِ اللغةِ أو الفقرِ أو الغنى."



أما جميلة حنا ، وعمرُها ١٠ سنواتٍ ، فقالَتْ: "إنه حسن يحتضنُ مرقس، فالحبُّ يربطُ دائمًا بينَ كلِّ أبناءِ مصرَ."

نستمع إلى رأى الآخرين

"قصص ألف حكاية وحكاية ، يستمتعُ بها الصغيرُ ، ويستفيدُ منها الكبيرُ. فهل هناك فارقٌ حقيقىٌّ بين الموضوعاتِ التى تناسبُ الأطفالَ ، والموضوعاتِ التى تناسبُ الكبارَ؟"

استمعْتُ إلى هذا السؤالِ من محسن ، ابنِ إحدى المحافظاتِ البعيدةِ عن القاهرةِ ، فأجبْتُ عن سؤالِهِ بسؤالٍ .. قلْتُ: "اذكرْ لنا رأيَكَ أنتَ".

فلما أجابَ ، طلبْتُ الاستماعَ إلى آراءِ آخرينَ.

وعندما انتهى الحوارُ ، وجدَ الأطفالُ أنهم قد أجابوا بأنفسِهم عن سؤالِ زميلِهم ، فالموضوعاتُ مُتقاربةٌ لكلِّ الأعمار ، وإن اختلفَ الأسلوبُ وطريقةُ العرضِ.



حدثَ ذلك خلالَ ساعتَينِ قضَيْتُهما مع ١٤٠ فتىً وفتاةً ، اختارَتْهم الإدارةُ العامةُ للمكتباتِ بوزارةِ التربيةِ والتعليمِ ، من كلٍّ محافظاتِ مصرَ ، لإقامةِ أولِ تجمُّعٍ من نوعِهِ فى مصر ، تحتَ عنوانِ "معسكر اقرأ".

لذلك عندما سألَنى وائل قائلاً: "ما هو دَوْرُ الأطفالِ فى مقاومةِ الإرهابِ؟"

سألْتُ: "ما هى الطريقةُ التى أجبْتُ بها اليومَ عن أسئلتِكم؟"

أجابَتْ رحاب: "لقد تركْتَ كلَّ واحدٍ منَّا يعبِّرُ عن نفسِهِ ، ويستمعُ إلى آراءِ الآخرينَ ، بغير تعصُّبٍ لرأىٍ مُعيَّنٍ".

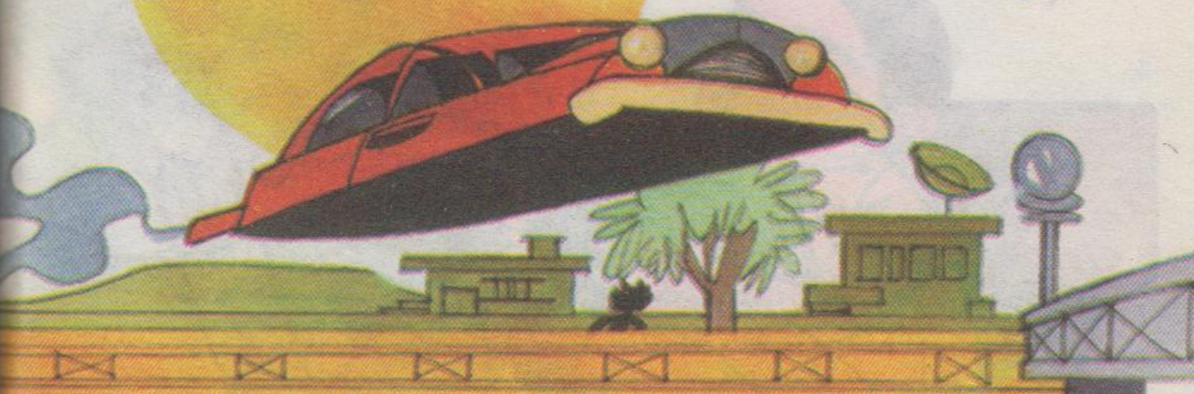


قلْتُ لهم: "إذا تعوَّدْنا هذا الأسلوبَ فى حياتِنا ، لن يكونَ هناك إرهابٌ. فالإرهابُ فى حقيقتِهِ مُحاوَلةٌ لفرضِ رأىٍ واحدٍ ووجهةِ نظرٍ واحدةٍ على الآخرينَ بالعنفِ والدماءِ ، وهو ما نرفضُهُ جميعًا."

السيارة التى تطير

وليد عمرُهُ ٩ سنواتٍ ، لاحظَ أننى أراقبُهُ وهو يرسمُ ، فرفعَ رأسَهُ ليقولَ فى حماسٍ:

"هذه هى السيارةُ التى سنستخدمُها بعدَ ربعِ قرنٍ. ستسألُنى: "أين عجلاتُها؟" لكنها سيارةٌ تسيرُ بغيرِ عجلاتٍ .. بل إنها لا تسيرُ .. إنها ستطيرُ على ارتفاعٍ مُنخفِضٍ فوقَ سطحِ الأرضِ ، مثلَ سفينةِ "الهوفركرافت" التى تطيرُ فوقَ سطحِ الماءِ ، أو القطارِ المغناطيسىِّ أو "المونوريل" ، الذى يندفعُ بغيرِ عجلاتٍ فوقَ وسادةٍ رقيقةٍ من الهواءِ.



ولن نحتاجَ عندئذٍ إلى مصانعَ لإطاراتِ السياراتِ المصنوعةِ من المطاطِ ، ولا إلى إنفاقِ مبالغَ كبيرةٍ لرصفِ الطرقِ.

وسيارتى التى أرسمُها ، تراها تطيرُ فوقَ حقلٍ من حقولِ القمحِ ، وستعبرُ النيلَ والتُّرَعَ وهى طائرةٌ."

ألف حكاية وحكاية

تأليف

الأستاذ يعقوب الشارونى



دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه